الشباب العربي اليوم
وأنماط سلوكه

ليقون مليكيان

تفرض كل حضارة دورا مثاليا لسلوك افرادها: تفرض انموذجا او مثالا يجب الاقتداء به . وهو يتأثر بعمر الفرد وجنسه ، وبمركزه في الاسرة ، وثقافته ، ووظيفته ، والمركز الاجتماعي لعائلته . وتختلف الاهمية النسبية لكل من هذه العوامل بين حضارة واخرى . لكن لكل حضارة صفات فريدة خاصة يتميز افرادها بها . والانموذج او الرمز المثالي انما هو انعكاس للحضارة ككل ، لتاريخها وتقاليدها ودينها وقيمها . وكلما توثقت الصلة بين ادراك الفرد لدوره وللدور المثالي الذي ترسمه حضارته له، ازداد امنا واستقرارا واقتربت اهدافه وآماله من الحقيقة وتحسنت علاقاته بقطاعات الشعب الاخرى . وكلما ازداد استقرار المجتمع توثقت الصلة اكثر بين دور المرء والدور المثالي .

سنحاول في هذا المقال ان نصف النمط المثالي للسلوك حسبما تتطلبه الحضارة العربية التقليدية من الشباب العربي ، وسنحاول ان نفحص مدى اتفاق هذا النمط مع الدور الذي يقوم الشباب به في الواقع . وسنعتمد ، من اجل ذلك ، على مصادر متنوعة — تتراوح بين الكتابات الادبية العربية القديمة والدراسات العلمية والعملية النفسية الحديثة .

ان الحضارة العربية وحدة بالرغم مما فيها من اختلافات محلية . وهي حضارة تسود عليها التقاليد واشكال السلوك والمعتقدات الاسلامية، ولكنها ايضا حضارة نمت وازدهرت في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام . وهي حضارة تبلغ فيها التسلطية والتقاليد والاسر الكبيرة من القوة ما يجعلها تعكس نفسها في المؤسسات وفي العلاقات الفردية . وينقسم السلوك فيها الى نصفين : المسموح به والمحظور، ما هو مقبول به وما هو معاب . وهي لا تسمح بالاستمرار في التقييم ولا تعطي مجالا واسعا للفردية وللابداع ، وتحد من الابتكار.

وتعتبر الحضارة العربية التقليدية تفوق الذكور من البديهيات وتعطي المرأة مركزا ثانويا . وهي تشجع على البسالة والحيوية في الرجل والاستسلام والانقياد في المرأة . ويتأثر مركز العربي ، تقليديا ، بمركز عائلته اكثر مما يتأثر بثروته ، وبتقواه اكثر من ثقافته ، وبعمره اكثر من مهنته .

الانموذج التقليدي لسلوك الشاب العربي

الشباب ظاهرة عامة ، تعني قطاعا من الشعب مثلما تعني مرحلة من الحياة ؛ يقررها علم

الحياة (البيولوجيا) وتحددها الحضارة. انها فترة المراهقة المتأخرة التي يستعد الشبان فيها لاستلام مسؤولياتهم كاعضاء كاملين في المجتمع . ومع انها فترة انتقال ، فهي فترة تكوّن ايضا . انها فترة يكتمل فيها الحس الاجتماعي ، وتنمو فيها الذات ، وتتحقق الشخصية . وينتظر فيها من الشباب ، كاعضاء اية جماعة سن اخرى ، ان يكونوا قد استوعبوا الدور الذي يرسمه المجتمع لهم ، وان يتصرفوا تصرفا يحدد هويتهم ما بين افراد المجتمع الآخرين.

يمكن تعريف الشباب على اساس السن ، والبلوغ، وحسب القانون. والشباب، حسب التقاليد ، علامة نهاية الحداثة . وهو سن البلوغ ، ووقت المراهقة . وهو السن التي يبدأ فيها الاحتلام .

لا توجد دراسات عن نمو وتطور الشباب العربي . ولكن المعلومات عن الاحتلام عند ٩٢ طالبا جامعيا تعطي السنة الرابعة عشرة كمعدل بلوغ الشباب، وتتراوح السن بين الثانية عشرة والثامنة عشرة . وهناك علامات جسدية اخرى يعتبر ظهورها علامة للرجولة ، كنمو اللحية. وعند الشك بالعلامات الجسدية تؤخذ السنة الخامسة عشرة كالسن القانونية للرجولة . هذا في الاردن ، اما في لبنان فان القانون يعرّف الحدث بمن هو دون الثانية عشرة من العمر ، والمراهق بين ١٢—١٥ ، والفتى بين ١٥ — ١٨ . والثامنة عشرة هي سن البلوغ . واذا ظهرت العلامات الجنسية الثانوية في سن مبكرة يمكن القبول بها ، غير ان التاسعة هي السن الابكر . والتشديد على البلوغ الجسدي و « الصلاحية للزواج » لا يسمح لمرحلة المراهقة باكثر من فترة قصيرة .

تدل المعلومات المتوافرة عن تربية الاحداث والتوعية الاجتماعية في الاسرة العربية في ريفي مصر وفلسطين وفي لبنان على ان هذه العملية تتميز بصفتين متعارضتين : طفولة متساهلة ، طويلة ، يتأخر فطام الطفل فيها نسبيا ويتأخر تعويده على عدم تلويث الثياب؛ وحداثة انضباطية قاسية . وفترة الحداثة قصيرة عموما ، فالاب العربي التقليدي يتلهف على رؤية ابنه يتصرف كبالغ ويتقيد بمقاييس السلوك عند البالغين باسرع وقت ممكن . وقد ذكر حامد عمار ان عملية النمو في القرية المصرية ينظر اليها كطريقة لضبط الاحداث كي يتقيدوا بالمقاييس التي يضعها البالغون ، وكي يحققوا ما يتوقعه منهم كبارهم ، وبذلك يتصفون بصفات المؤدبين .

يبدو ان هذا التوقع يصدق ايضا على لبنان. كتب العالم الاجتماعي بروثرو ان الامهات في لبنان ، سواء كن في الريف او المدن ، ومهما كان مذهبهن الديني، « الابن المثالي عندهن هو المطيع ، المؤدب ، المرتب، الخالي من الاحساس العدواني. وهن يشددن على منع دوافع التمرد فيه ليحصلن على الاستسلام والاذعان » . غير ان المعايير الاجتماعية هي التي تقرر متى وضد من يمكن التعبير عن العدوان تعبيرا سليما ، ومتى ولمن يجب اظهار الاحترام .

وهكذا يمكننا ان نرى ان زرع بذور الادب في الحدث ، وتمكينه منه ، يصبح مثالا يسعى نحوه الآباء ، ويصبح صفة مطلوبة من الحدث . ان المحافظة على الادب والتمسك به تفرض على الحدث باستمرار ، كما كتب عمار ، ويصبح الادب هدف الآباء لتوعية الابناء اجتماعيا .

تستحق كلمة « ادب » ومشتقاتها الكثيرة ان نقف عندها قليلا ، لارتباطها بالسلوك. كانت الكلمة تعني قبل الاسلام وبعده الميول النبيلة والانسانية والتعبير عنها في سلوك الحياة والعلاقات الاجتماعية . ويقتبس غولد هيزر ، الذي نقلت عنه المعنى الآنف لكلمة ادب ، المثل الذي يقول بان الادب هو ثلثا الدين ، مما يؤكد على العنصر الديني في السلوك والعلاقات الشخصية . ويشدد على هذا العنصر ايضا الحديث الشائع والمنسوب الى الرسول الكريم : « ادبني ربي فاحسن تأديبي » .

وبالاضافة الى الدلالة العملية لكلمة « ادب » ، ومتوازيا معها ، ما يتضمنه التعبير من معرفة تؤدي الى ثقافة فكرية على درجة عالية تمكن من قيام علاقات اجتماعية راقية ، كما يقول غولد هيزر . وهي تشتمل على معرفة الشعر العربي وفقه اللغة والتاريخ والادب . وهكذا فان تعبير « ادب » لا ينطوي على اللياقة والتصرف وطرق السلوك وحسن التهذيب والتنشئة الجيدة واللطف ، فقط ، ولكنه يشمل ايضا الثقافة والذوق الادبي والتهذيب الفكري والمعرفة . ونستدل من بعض مشتقات الكلمة ، « كتأديب » ، ان مهمة التأديب والضبط هي زرع الادب في النفس . اما « مأدبة » فتدل على ان الضيافة من صفات الرجل الذي حظي بتربية حسنة .

ويقترن تعبير « ادب » ، في التراث العربي الادبي ، بالوان من السلوك مثل الاناقة والدماثة والشجاعة والشهامة والرجولة ؛ لان من لا شجاعة له لا ادب له ، ومن لا دماثة له لا شجاعة له ، ومن لا ادب له لا دماثة له . كانت هذه الصفات تؤهل الانسان للقب فتى ولعضوية الفتوة التي بلغت ذروتها في العهد العباسي . « يعني المعنى الاعتيادي لكلمة فتوة جميع الصفات النبيلة التي تميز الفتى الكامل — وخاصة الكرم... والفتوة ، بلغة الصوفيين ، تعبير عن مزاج يعبر عن نفسه بعدة طرق ... في تفضيل الآخرين على الذات ، وهو منتهى الكرم عند الغزالي ؛ كما انه يعبر عن نفسه بالسخاء وعدم الانانية وانكار الذات والتغلب على الفشل ، والشجاعة والجود » (فان ارندونك) . وكان لقب « فتى قومه » اشرف تكريم يمكن ان يكرم به شاب ما . وكان يحكم على الشاب الكامل بادبه ، وهو يزيد في قيمته اكثر من نسبه . وقد نشأ الاساس الديني لهذه الحركة على حديث منسوب للرسول عن علي بن ابي طالب : « لا فتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار » . وقد وجدت مُثُل الفتوة ومظاهر سلوكها في تقاليد العرب قبل الاسلام. وكان ينظر الى افراد اسرة الرسول

بانهم هم الفتوة الاصيلون .

نرى مما سبق ان لتعبير « ادب » معاني كثيرة ، وانه يشمل عدة طرق في السلوك . وقد استمد التراث العربي مادته حول لفظتي « ادب » و « فتوة » من مصدر رئيسي هو الحديث الشريف الذي يصوغ مثال السلوك في كل شؤون الحياة .

كانت مجاراة الآباء والاجداد في طريقة حياتهم تعتبر فضيلة عند عرب الجاهلية . ولذلك فان اتخاذ حياة الرسول والصحابة كانموذج انما كان اتباعا لعادة قديمة قائمة . واذ اعتبر الرسول الرجل الكامل اصبحت فضائله ومميزاته الانموذج المثالي للسلوك. وتحقيق هذا الانموذج ممكن نظريا لان الرسول عند المسلمين انسان بشري . وبمرور الايام « لم تستطع الافكار والاختبارات الدينية الاصلية ان تقي نفسها من التعديل تماما ... فبدأ الفقهاء يطورون مبادىء الواجبات والعقائد حسب متطلبات الاوضاع الجديدة ... واستعيرت من الشعوب المغلوبة افكار ومؤسسات جديدة » (كما كتب جون بول) ، وادمج ذلك في حياة العرب وتفكيرهم . وهذه الاستعارات هي سبب التشابه الذي يظهر بينها وبين بعض آداب السلوك المسيحية . وهي تعالج كل ما يتعلق بعلاقات الله والانسان .

الكتب عن السلوك القويم كثيرة في التراث العربي . ويتنوع ما فيها من نصائح — من عادات وآداب الاستراحة (ولا ننسَ ان احد اسماء بيت الخلاء عندنا « بيت الادب ») الى قضايا العلاقات البشرية في اشكالها المختلفة ، والى حقول الادب والفن الراقيين .

ما هي المواضيع التي تقدم الحضارة التقليدية نصائحها الصريحة بخصوصها؟ والى اي حد استمرت هذه الآراء الى عصرنا الحالي وكيف تعبر عن نفسها في الصورة الذهنية الحضارية للشاب العربي المعاصر ؟

احد سبل الاجابة على هذه الاسئلة ان نعالجها ضمن نُطُق معينة للعلاقات بين الافراد، وان نتفحص بعض الارشادات التقليدية للسلوك فيما يتعلق بهذه العلاقات ، وان نقارنها بما لدينا حاليا من مادة متوافرة في الموضوع نفسه .

علاقة الانسان بالله (والدين) : يعرّف الاسلام علاقة الانسان بالله تعريفا واضحا : انها استسلام العبد لسيده . وكلمة « عبد » تسبق كل اسم من اسماء الله الحسنى التسعة والتسعين لتكون اسماء اعلام شائعة للذكور. يقول كنيث كراغ : « ان مركز العبد يجعل من الاستسلام العلاقة المناسبة الوحيدة مع الله ». وتصبح مشيئة الله قوة مرشدة في حياة الانسان ، ويجب اطاعة آياتها المعلنة بصبر . غير ان البشر مسؤولون ايضا ، وهم مخلوقات حرة. ويقول كراغ ان علماء الاسلام المعاصرين يستندون عادة على هاتين الآيتين القرآنيتين لدعم وجهة نظرهم : « ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك » ؛

و « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مردّ له، وما لهم من دونه من وال » .

على المسلم الصالح ، لينال رضى الله ، ان يؤدي الشهادة ويصلي خمس مرات في اليوم ويتصدق على الفقراء ويصوم شهر رمضان ويحج الى مكة مرة في العمر على الاقل ان امكنه ذلك . هـــذه هي فروض الاسلام الاساسية الخمسة . ويجب ان يكون الله جوهر كل عمل وجهد بشري . يقول الغزالي في كتابه الشهير « ايها الولد » ان المعرفة يجب ان تكون لتحقيق غاية الله وليس لتحقيق غايات عالمية ، وان جوهر المعرفة هو تعلم الطاعة والعبادة ، وان الاقوال والاعمال يجب ان تتفق والشريعة ، وان معرفة السنّة فوق كل معرفة .

بناء على ذلك فان الانغماس بالملذات محرم ؛ اما العمل والعبادة والاحسان والاتضاع فانها من صفات الرجل التقي ، والتقوى مصدر للافتخار . كذلك فان التأدب والانضباط من مميزات التقوى .

ولما كانت علاقة الله بالانسان تحدد شؤونه كلها، لا يعتبر الدين منفصلا عن مجرى الحياة. ليس الدين « شيئا من الخصوصيات الشخصية » ، كما يقول كراغ . وهذا الاعتقاد يجعل من الصعب ، بل من المستحيل عمليا ، « ان يميز العقل التقليدي المسلم بين ما هو ديني وما هو دنيوي » ، بين الدين والدولة. كذلك يصعب على العربي المسلم في يومنا هذا، المؤمن بالمفهوم الغربي للقومية ، ان يقبل بانهما واحد . ان فصل السياسة عن الدين ، وكلاهما موضع اهتمام الشبيبة ، يصبح مجالا مهما للصراع النفسي — وهي مشكلة لا يواجهها العربي المسلم المثقف لوحده بل يشاركه بها الشاب العربي المسيحي. ينعكس هذا في الصراع بين المفهوم التقليدي لكلمة « امة »، الذي يسمى المسلمون بموجبه « امة محمد »، وبين التفسير الفكري المعاصر، الذي يسمى العرب بموجبه « الامة العربية » .

تعمّ هذه العلاقة بالله ، وما ينتج عنها من التزامات دينية ، حقولا اخرى في الحياة . فهي تعبر عن نفسها في علاقة الانسان بالانسان — بمواطنه وبالغريب، وبالصديق وبالعدو، وبالرجل وبالمرأة ، وبالمسلم وبغير المسلم. وسندرس الآن بعض قواعد السلوك التقليدية للشباب على صعيد هذه العلاقات بين الافراد .

اما **علاقة المرء بالآخرين** فهي امتداد لعلاقته بـالله . وهي علاقـة مثالية تتضمن مسؤوليات متبادلة بين الاب والابن ، وبين الصديق والصديق ، وبين المعلم والطالب، الخ؛ علاقة يفضّل الآخرون فيها على الذات ، كما قال الغزالي ، ويعاملون كما يريد الانسان ان يعامله الآخرون — وذلك صنو لما اوصت به « القاعدة الذهبية » في الانجيل. ومن واجب

المسلمين البرّ والاحسان : « وبالوالدين احسانا ، وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم » .

ويطلب من الانسان ، في كافة علاقاته ، ان يكون جديا ، وان يبرهن عن جلده وشجاعته ، وان يتحاشى الكلام الرديء ، وان يبتعد عن المزاح والضحك ويتجنب مختلف انواع اللعب ويتمسك بالوقار في كل الظروف ويحافظ على رصانته ورزانته وهدوئه . تلك صفات الفتى المثالي . ولكن كيف تظهر هذه الصفات في علاقة المرء مع اشخاص معينين؟

علاقته بالبالغين : يشار الى البالغين « بذوي الرأي » . ويقول المثل الشائع : « اكبر منك بيوم احكم منك بسنة » . لذا يجب احترام البالغين وتكريمهم بسبب حكمتهم ومعرفتهم وعمرهم . وينتظر من الاصغر ان يكرم الاكبر . وسيكافئه الله على احترامه هذا بان ييسر له من يحترمه في شيخوخته . ولا يقتصر هذا الاحترام على البالغين في الاسرة نفسها ، بل يمتد الى الكبار عموما بغضّ النظر عن مركزهم او رتبتهم . وهناك تعليمات معينة لتكريم فئات خاصة من الناس ، بينهم رجال الدين ، الذين يجب الاشادة بتقواهم ، — وتكريم شيوخ الاسلام احد طرق تمجيد الله (السليمي) . وهناك وصف جليّ لواجبات الصغار تجاه معلميهم في كتب الادب القديم . وبسبب التشديد على فضائل التربية والتعلم (وقد اقتصرا ، تقليديا ، على الادب والدين والكلام والحديث) قيل عن المعلمين انهم حكماء وحكام ملوك (ابن جمعه) . ولا يحق للطالب ان ينتقد معلمه بعد ان اختاره معلما — على العكس ، كان على المعلم ان يكرَّم الى اقصى حد ، ولم يكن يسمح للطالب بان يسير امام معلمه ، ولا ان يجلس في حضرته ، ولا ان يتكلم بدون اذن منه . واتسع نطاق الاحترام الى اكثر من ذلك : فكان على الطلبة ان يجهزوا الطعام للمعلم ، دون ان يأكلوا معه ، وان يغسلوا قدميه ، وان يحترموا ابناءه ، وان يقفوا لهم ان حضروا المجلس (ايبل وغرونيباوم) .

مع ان جوهر هذه الفروض كتبه الزرنوجي ، وهو عالم درس مشاكل التربية والعلم في عصره ، اواخر القرن الثاني عشر ، لا تزال الفروض المذكورة حية مع تعديلات قليلة الى يومنا هذا — كما يبدو لنا من كتاب في اخلاق الشبيبة نشر في القاهرة عام ١٩٢١ . فالمؤلف ، القاسمي ، وهو رجل دين ، يوصي التلميذ بان يبادر معلمه بالتحية وان يقلّ من الكلام بحضوره ، وان يكرم معلمه حتى يستخلص منه كل ما عنده من كنوز الحكمة ، وان يتضع امامه ويحترمه ويخدمه كما لو كان المعلم اباه ، وان يصمت وان يصغي والا يتكلم الا اذا امره معلمه بذلك . واذا اختلف مع رأي معلمه عليه الا يقتبس مصادر اخرى والا يظن انه يعرف اكثر من معلمه . ويحذر الكاتب الطالب من التودد للمعلم والتردد الكثير

عليه حتى وان كان المعلم صديقا وانيسا . ويحذره من المبالغة في تصوير عظمة معلمه ، ومن تقليده. وينصحه بان يكون محققا وعقلانيا . وعليه الا يقصد المعلمين ذوي الاصل الرفيع اذا كان بامكانه الافادة من غيرهم ، والا يقصد المعلمين البعيدين اذا كان بامكانه الافادة من القريبين . ومع ان هذه التعليمات والوصايا متحررة نوعا ما ، فان فيها اثرا من تعليمات الزرنوجي التقليدية المذكورة اعلاه. ولا يزال احترام المعلم يتجلى، على النطاق اللفظي على الاقل ، في المثل الشائع « من علمني حرفا صرت له عبدا » .

علاقته بالاسرة: وقد حدد التراث ايضا بوضوح علاقة الفرد باسرته وواجباته نحو افرادها. ونقصد «بالاسرة» هنا الاسرة الابوية السلطة، التقليدية، المتسعة، التي لا تزال سائدة وتستحوذ على ولاء الفرد الرئيسي. فكل ما يقرره المرء، مهما كان امره شخصيا، انما يقرره على ضوء مصلحة العائلة. فينتظر من الشاب ان يتزوج قريبة له ، والزيجات تدبر عادة بين العائلتين وليس بين العروسين لوحدهما . ولقب « عمي » يطلقه المرء على ابي زوجته ، وعلى المتقدم في السن حتى وان لم يكن قريبا له مطلقا .

ويطلب من الرجل ان يدافع عن شرف اسرته . وان يعين افرادها ، حتى الاعمام والاخوال والمتصلين بهم من قريب او بعيد ، معنويا وماديا ان كان قادرا على ذلك . واذا كان صاحب نفوذ وسلطة فان عليه ان يؤثرهم على غيرهم . وعليه ان يقف الى جانبهم عند اختلافهم مع الغرباء، حتى وان كانوا على خطأ. يتمثل هذا في المثل « انا واخي على ابن عمي وانا وابن عمي على الغريب » . ويكمن هذا الشعور وراء الكثير من حوادث الثأر ؛ ومن لا يفعل ذلك يكون موضع انتقاد حتى من اخصام اسرته، لان شرف الاسرة يجب ان يصان مهما كانت الظروف . ومن بين سائر الجماعات التي يشعر الشاب بالولاء لها يأتي الولاء للاسرة في الدرجة الاولى. وبسبب هذا الولاء العائلي القوي الذي تتطلبه التقاليد، تتفشى المحسوبية في بعض المناطق .

ان مسؤولية الفرد تجاه العائلة مسؤولية متبادلة ، فان العائلة بدورها لا تعطي الفرد المركز والجاه فحسب ، بل تمد له يد العون وتوفر له القوة والامن والسلامة .

ويحدد الدين والتقليد تحديداً واضحاً علاقة الفرد بالوالدين. فهي اساسا علاقة استسلام وطاعة وتقوى بنوية . وقد اوصى القرآن باحترام الوالدين واطاعتهما والرفق بهما ، ويحفل الحديث النبوي بتوصيات بهذا المعنى . فهو يعتبر عصيان الوالدين من اعظم الخطايا، وشرّا كالشرك . وينتظر من الابن ان يأخذ العمل عن والده ويريحه منه في سن مبكرة ، وان يضحي بنفسه وامواله في سبيل والديه في حياتهما . والابن وما يملكه انما هما ملك للاب .

ولا تزال هذه الافكار قوية الى اليوم . فنجد في كتاب القاسمي ما يدل على استمرار

فكرة الطاعة والاستسلام والاحترام . قال في وصف آداب السلوك الصحيح نحو الآباء ان على الابن ان يصغي لكلام والديه ، ويقف حينما يقفان ، ويطيع وصاياهما ، ولا يسبقهما في مشي ، ولا يرفع صوته فوق صوتيهما ؛ وان يستجيب لطلباتهما ، ويعمل على ارضائهما ، ويتضع امامهما ويخدمهما ويكرمهما في غناه وفقره ، ويعمل على اسعادهما ، ويفرح قلبيهما ولا يحرمهما من احترام ولا طاعة ، ولا ينفر بوجههما ولا يعبس ، ولا يسافر بدون اذن منهما .

ولا تزال من العادات الشائعة ان يقبّل الابن يدي والده وان يظل واقفا في حضرته . ويمتد هذا الاحترام الى الاخوة الكبار ايضا . فيجب على صغار الاخوة اطاعة من هم اكبر منهم ، واحترامهم . على ان الامتيازات الخاصة التي تعطى للابن الاكبر انما توازيها مسؤوليات عليه تجاه اخوته الاصغر وتجاه الاسرة بوجه عام – خاصة عند غياب الاب .

علاقته بالاصدقاء : ينحصر اختيار الاصدقاء ، تقليديا ، في الاقارب ، وفي من هم من نفس الجنس والطبقة . ويقع الصبي الذي لا اخوة ولا ابناء عم له في حيرة ، فعليه ان يبحث عن اصدقاء له خارج الاسرة . وبالتالي يجب ان يكون الاصدقاء من الطائفة نفسها (السليمي) . ويشجع الشاب على ان يختار اصدقاءه من اصحاب الجد والثقافة والادب ، ممن يمكنه ان ينتفع بهم ويتعلم منهم (ابن جماعة) . فالمرء يُعرف من اصحابه : « لا تسل عن المرء و اسأل عن قرينه » . والاديب يصادق من كانوا مؤدبين مثله : من كانت لهم الصفات التي له ، ومن يثق بانهم لن يخدعوه .

ويشجع المرء على الوفاء لاصدقائه . وعليه ان يساعد اصدقاءه وعائلاتهم ، وان يشيد بفضائلهم ويسكت عن مساوئهم ، وان يكون وفيا لهم في كل الحالات. الا ان المرء ينصح بالا يظهر حبا زائدا لصديق ولا عداء زائدا لعدو : فليس من يعلم متى تتحول الصداقة الى خصومة .

علاقته بالنساء : يحكم على علاقة الرجل بالمرأة الافتراض بتفوقه عليها . فعلى المرأة ان تطيع الرجل ، وعلى الرجل ان يحمي المرأة ويحمي عرضها . « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » .

ينطبق هذا على مسؤولية الرجل تجاه زوجته كما ينطبق عليها تجاه اخواته وسائر نساء اسرته . وتعتبر النساء متخلفات عن الرجل ليس فقط في طاقاتهن العقلية بل ايضا في ايمانهن الديني . ونلمس حدة تدني مركز المرأة عن الرجل لا في قوانين الارث فقط (التي تعطي الذكر مثل حظ الانثيين) بل ايضا في المحاكم (حيث توازي شهادة المرأتين شهادة

الرجل الواحد) .

ولا يُشجع الرجال، حتى المتزوجين منهم، على صحبة النساء . فكان يخشى ان يكسب الرجل من هذه الصحبة صفات نسائية لا تليق بالرجل . ولا يزال لقب « زير نساء » يحط من قيمة من يلقب به .

وكان الزواج المبكر وسيلة يشجع بهـا السلوك الجنسي ، ولم يكن يسمح بالعزوبة الا للنساك المتصوفين . وبسبب ازدواجية المقاييس في السلوك ، لم يكن الرجل يشجع على التمادي في علاقاته الجنسية خارج الزواج، اما المرأة فكانت تمنع من ذلك منعا باتا. وينطبق الشيء نفسه على العلاقات الجنسية قبل الزواج .

ومع ان صحبة البغايا كان ينظر اليها باحتقار ، لم يكن الاستمتاع بالجواري امرا غير لائق. فكان يسمح للرجل ان يستمتع بهذا الصنف من النساء استمتاعا جنسيا بدون حب . غير انه كان يحذر من مؤامراتهن والاعيبهن . وكان ينصح بالا يأتمنهن ، بل ان يستمتع بهن كزهرة ترمى عندما تذبل (الوشاء) ، وكان يحذر من الوقوع في شباكهن .

ولم يكن يسمح باية علاقة، مهما كان نوعها ، بين الشاب والعذراء الحرة . فالزواج هو العلاقة الشرعية الوحيدة. وكان يتوقع من الشاب المؤدب ان يكون امينا لزوجته. ولكن كان عليه ان يكون على حذر معها ، لان الوفاء خلة نادرة في النساء .

ولم يكن يسمح بالانحرافات الجنسية في الماضي ، كما لا يسمح بها اليوم. ومع ان الشذوذ الجنسي كان يمارس وتحدث الادب القديم عنه بصراحة في الشعر والنثر ، فانه لم يكن ينال الموافقة الكاملة قط (المنجد). واذا كان القائم بالدور الايجابي بين محترفي الشذوذ الجنسي لا يعتبر باسوأ من الزاني، فان القائم بالدور السلبي كان يحرم من لقب الفتى (ابي المكارم).

علاقاته الاجتماعية : كان يتطلب من الشاب في سائر علاقاته الاجتماعية ان يتصرف بوقار سنه ، وبحنكة ودماثة ، وان يحافظ على رصانته في سيرته . فالتهريج واللهو ليسا من علامات الرجل الناضج والمؤدب. قال الوشاء في القرن العاشر ان التهريج الزائد يحط من قيمة الرجل الشريف الحر وينتقص من سمعته ، وينزع عنه رجولته ، ويفسد صداقاته ، ويظلمه. فالضحك يذهب بالوقار واحترام الذات . وهناك مثل شائع يصور هذا الاعتقاد بشكل مبسط : « الضحك بلا سبب من قلة الادب » . وعلى المؤدب الا يسرع الخطى او يلتفت الى الوراء او يعود على اعقابه او يبدل طريقه . وعليه ان يجلس جلسة صحيحة والا يقعي ، وعليه الا يجلس في مكان غير مناسب له ولا يستحقه . فعليه ان يعرف مركزه الاجتماعي .

والصمت فضيلة. وعلى الشاب ان تكلم الا يرفع صوته. وعليه الا يتدخل بحديث دون

اذن ، والا يسترق السمع لما يقوله الآخرون . وعندما يسأل سؤالا يجب ان يفعل ذلك ليزيد من معرفته لا ليناقش ولا ليعبر عن آرائه. وعليه الا يتكلم عن نفسه، والا يكشف عن اسراره ولا اسرار الآخرين (الوشاء) .

وعلى المتأدب ان يظهر شجاعة وكرما وضيافة . فعليه ان يكون مضيافا حتى ولو كان هذا عسيرا عليه . والضيافة صفة ممدوحة بشكل خاص في التراث العربي القديم وفي الاحاديث .

وتجب المحافظة على الوقار والكرامة في اللباس ايضا. فالرجل الذي يلبس الوانا فاقعة ويتحلى بالجوهر كان، ولا يزال، يعتبر مخنثا ويتهم بالشذوذ الجنسي السلبي. والتعري امام الآخرين مرفوض بكل شكل وفي اي ظرف . فلا يسمح برؤية المؤدب بدون ردائه في البيت او خارجه ؛ وعليه ان يغطي رأسه ، وان يبكل ازرار ردائه . ويجب ان يدخل الحمام العام دون ان يلاحظه احد حتى لا ينظر اليه احد ، ويجب ان لا ينظر هو الى احد. ويجب ان يرتدي ثوبا محتشما ويجلس بعيدا عن الآخرين. وعليه الا يكشف عن معالم رجولته، والا يراه احد وهو في المرحاض ، ولا وهو ذاهب اليه . ويجب الا يأكل والا يشرب امام الناس .

وفوق هذا كله ، على الشاب ان يؤكد على رجولته في جميع نواحي سلوكه ، على رجولته التي تتصف بكل ما سبق من صفات . وعليه ان يتزوج مبكرا وينجب بنين .

ونحن نجد تلخيصا جيدا لصفات الشاب المثالي كما قررتها التقاليد العربية في كتاب رحالة بريطاني في الشرق الاوسط ما بين ١٧٩٢ — ١٧٩٨ اسمه براون ، يقول : « ان ابن العرب يبلغ سن الرجولة باكرا . فهو يتعلم الرصانة في التصرف ، والجلد في الشدائد ، واحترام السن، وطاعة الوالدين ، والتمنع عن المتع المستهترة، والاعتدال، والعفة، وحسن الوفادة: يتعلم ذلك كله في ابكر وافيد سبيل — في بيت ابيه ، حيث يرى مثلا امامه ، وحيث يكون احتمال وجود تعليم مضاد على اقلّه » .

استمرار الصورة الذهنية التقليدية

ما هي نواحي هذه الصورة المثالية التقليدية التي لا تزال موجودة الى اليوم ؟ علينا ، للاجابة على ذلك ، ان نلجأ الى بعض الاستقصاءات التجريبية والى ردود فعل الشبان انفسهم .

نجد احد المصادر لموضوع استمرار بعض جوانب الصورة العامة التي رسمناها آنفا، في دراسة قام بها دنيس في ١٩٥١ عن تقوية سلوك الاحداث . فقد وجد دنيس ان الابناء العرب يكافأون في حالات اكثر بكثير مما يكافأ الابناء الامريكيون على تحصيلهم

الدراسي وعلى تأديبهم وطاعتهم وسكوتهم ، ولكنهم يكافأون اقل بكثير من الابناء الامريكيين على الفوز في الرياضة والالعاب وعلى مشاركة اقرانهم ومساعدتهم وعلى نفسية خلق المشاريع والشروع بها. ووجد ايضا ان ابناء العرب يكافأون مرات اكثر من سواهم على تصدقهم على الفقراء ومساعدتهم لاقاربهم . ووجد انهم يعتمدون على موافقة البالغين اكثر مما يفعل الابناء الامريكيون – الذين ، بدورهم ، يعتمدون اكثر على اقرانهم. ولهذا فان علاقات الاحداث العرب متأثرة بالبالغين اكثر منها بالاقران .

يبدو ، اذاً ، ان القيم الاجتماعية كالطاعة والتأدب والهدوء والجد والعطاء ومساعدة الاقارب والتعلم، تشبه في جوهرها القيم التقليدية وما كان يتوقع من الشاب ان يكون عليه كابينا آنفا . وجدير بالذكر ان هذه الملاحظات تنطبق على المسلمين والمسيحيين من العرب على السواء ، وعلى بعض الارمن ايضا والاقليات الاخرى . وعندما نتذكر ان دنيس اجرى دراسته في بيروت، وهي المدينة الاكثر عصرية وتطورا من اية مدينة عربية اخرى، نجد ان النتائج التي توصل اليها انما هي اكثر دلالة على مدى بقاء القيم التقليدية في نظام القيم المعاصر عند العرب . ولما كانت المكافأة على السلوك وسيلة مهمة من وسائل الرقابة الاجتماعية، فاننا نرى مفعولها في نقل وتوكيد القيم الاجتماعيةالتي يبدو ان حضارتنا لا تزال تقبل بها .

ولدينا مصدر آخر: هو اجابات اربعين شابامسلما وعشرين شابا مسيحيا،معدل اعمارهم ٢٠ ، ٢١ سنة ، على الاسئلة التي طرحها عليهم كاتب هذه الدراسة. كانوا جميعهم من الطلبة، وطبيعيين من الوجهة النفسية ، فلم يكن بينهم من سبق ان تلقى علاجا نفسانيا. وقد دلت المعلومات التي ادلوا بها عن آبائهم وعائلاتهم وتطورهم الاجتماعي انهم يأتون من بيئات تقليدية محافظة . وجاء معظمهم من اسر تتزاوج من افرادها لحدّ كبير . وقالوا ان ٧٠ بالمائة من اجدادهم لآبائهم و ٧٥ بالمائة من اجدادهم لامهاتهم و٦٥ بالمائة من والديهم ولدوا ونشأوا في القرية او البلدة نفسها ؛ وان ٢٠ بالمائة من الآباء و١٠ بالمائة من الامهات درسوا على المستوى الجامعي؛ وان ٨ بالمائة من الآباء و ٢٠ بالمائة من الامهات اميون . وقال ٩٥ بالمائة من المستجوبين بان والديهم متدينون ، من حيث قيامهم بالواجبات الدينية الظاهرة كالصوم والصلاة والصدقة والحج . وقال ٩٠ بالمائة من المستجوبين انهم اقل تدينا من والديهم ، من حيث المظاهر المذكورة ، مع ان ٨٠ بالمائة قالوا انهم يشاركون والديهم في معتقداتهم الدينية الاساسية .

قال بعض الطلبة الذين جرى الاستفتاء معهم ، تبلغ نسبتهم ربع المجموع العام فقط ، انهم راضون عن تصرفات واتجاهات والديهم . ولكنهم لما سئلوا اذا كانوا يحبون ان يروا تبديلات في تصرفات والديهم (اما الوالدين معا او احدهما فقط) ، ان كان ذلك ممكنا ،

اجـاب ٤٥ بالمائة انهم يحبون لو تتبدل تصرفات امهاتهم و ٦٥ بالمائة يحبون لو تتبدل تصرفات آبائهم و٤٠ بالمائة يحبون لو تتبدل تصرفات الوالدين معا . وتمنوا لو كان والدوهم اكثر عصرية ، واكثر تسامحا مع الآخرين ، واكثر تفهما وتقبلا لابنائهم ، واكثر تساهلا وارقى ثقافة . واجاب ٤٢ بالمائة من مجموع المستجوبين انهم لا يوافقون على الاجراءات التأديبية التي يستعملها والدوهم واعلنوا انهم لن يستعملوا الاجراءات نفسها مع ابنائهم . وبينما ذكر ١٢ بالمائة فقط انهم علموا بامور الجنس من والديهم، اعلن ٩٠ بالمائة انهم سوف يطلعون ابناءهم على هذه الامور بانفسهم .

ويبدو ان الوالدين يحدّون من اتصال الطلاب باقرانهم . قال ٥٠ بالمائة من المستجوبين انه كان يسمح لهم باحضار اصدقائهم للبيت ، لكنهم جميعهم تقريبا ذكروا ان ذلك كان مشروطا بان يكون الاصدقاء من عائلات جيدة (يعرفها الوالدان) ، ويتحلون بخصال حميدة ، ومن الجنس نفسه . وكان اصدقاء ٦ ، ٤٧ بالمائة من المستجوبين ، من الجنس نفسه ، بينما كان للباقين اصدقاء من الجنسين . لكن في حين انـه لم يكن لربع الطلاب المسيحيين اصدقاء من الجنس الآخر ، لم يكن لاربعة اخماس الطلبة المسلمين اصدقـاء من الجنس الآخر . وقد يعكس هذا الفارق الجو الاقل حظرا في العائلات المسيحية من حيث العلاقات بين الجنسين . وقال القلائل الذين سبق لهم ان كانوا على اتصال بافراد من الجنس الآخر انهم يفعلون ذلك تحت رقابة ابوية شديدة ، وان ذلك كان مشروطـا بحسن سلوك الشاب ومدى احترامه لصديقته واهتمامه بها . ومع ان ٤٥ بالمائة فقط قالوا انه حصلت لهم اختبارات في مواعدة الفتيات ولقائهن ، قبل ٦٥ بالمائة من مجموع الطلاب المستجوبين ان يصفوا الموعد واللقاء المثالي – وهو وصف يقوم على الخيال بالنسبة الى معظمهم . ولايضاح هذه النقطة اقتبس مما كتبه طالب مسيحي من قرية سورية : « اني اجهل طريقة التأثير في الفتيات . لقد نشأت في مدرسة وبيت محافظين . ولم يسمح لي قط بالتكلم مع فتاة، لان ذلك يعتبر تهديدا لشرفها . لذلك عشت في معزل عن الجنس الآخر ولم يكن لي اي اختبار مع البنات » . وحينما طلب من المستجوبين ذكر الحالات التي شعروا فيها بالنقص والضعة ذكر ٦٥ بالمائة منهم حوادث تتعلق بعلاقاتهم مع البنات . اما الحوادث الاقل ورودا فكانت : الفشل في التحصيل المدرسي ، والضعف الرياضي ، والعجز عن التكلم امام الناس . ومع ان هذه المعلومـــات ليست جامعة مانعة ، فانها تظهر بعض مظاهر التراث التي لا يتفق الشباب الحالي معها .

ونحصل على مصدر آخر يبرهن على قوة الدور التقليدي التراثي للشباب ، في عرض للسلوك وضعه طلبة جامعيون انتسبوا للجامعة في دورة صيفية : اجري الاستجواب على

خمسين طالبا ذكرا انقسموا بالتساوي بين مسلمين ومسيحيين . طلب كاتب المقال منهم وصف نوع السلوك الذي يعتبره البالغون في مجتمعهم (اي الآباء والامهات والمتقدمون في السن والمعلمون) هو السلوك المقبول من شاب في عمرهم وجنسهم . وطلب منهم ايضا ان يصفوا السلوك الذي يعتبره اقرانهم هم مقبولا .

بالنسبة الى السؤال الاول ، دل وصف ٥٠ بالمائة منهم على ان السلوك المقبول عند البالغين هو الذي يخضع للقيود الابوية . وقد حدّت هذه القيود من حرية الشبان في اختيار اصدقائهم وزوجاتهم ومن حقهم في التعبير عن آرائهم خاصة في السياسة ، وكانت القيود تقرر لهم نشاطاتهم الاجتماعية ونواحي التسلية وتعين ساعة عودتهم الى البيت مساء. وذكر ٤٠ بالمائة منهم امورا اخرى مثل احترام المسنين والمحافظة على الادب والامانة . وذكر ٣٠ بالمائة ان تجنب الجنس الآخر في كل الظروف هو من الامور التي يرضى بها البالغون في مجتمعهم . وذكر ٢٨ بالمائة الاجتهاد في الدرس ، و٢٤ بالمائة اطاعة الوالدين ، و ٢٢ بالمائة اداء المسؤولية تجاه الآخرين (الاهل والمجتمع) ، و١٨ بالمائة الرجولة (الجد والرصانة)، و ١٨ بالمائة التدين ، و ١٦ بالمائة الحصول على الاحترام الذاتي واحترام الآخرين ، و ١٢ بالمائة فقط وصفوا المحافظة كامر مستحب عند البالغين .

وقد حصل اتفاق بين ما يتوقعه البالغون وما يتوقعه اقران المستجوبين الشبان ، في امور قليلة : فمسألة التأدب والامانة ، ذكر ٤٠ بالمائة من المستجوبين انها مقبولة عند البالغين و٤٤ بالمائة انها مقبولة عند الاقران الشبان ؛ ومسألة الاجتهاد المدرسي ذكر ٢٨ بالمائة انها مقبولة عند البالغين و ٢٢ بالمائة عند الاقران ؛ ومسألة احترام الذات والآخرين، ذكر ١٦ بالمائة انها مقبولة عند البالغين و١٨ بالمائة عند الاقران . وعلى عكس ما يتطلبه البالغون، قال ٣٦ بالمائة من المستجوبين ان اقرانهم يتطلبون منهم ان يكونوا احرارا من القيود الابوية ومن قيود البالغين ، وقال ٣٠ بالمائة ان اقرانهم يتوقعون منهم ان تكون لهم صلات مع الجنس الآخر من كل نوع (بما في ذلك المعاشرة الجنسية) ، وقال ٢٠ بالمائة ان اقرانهم يتوقعون منهم ان يكونوا اجتماعيين ومرحين. ولم يذكر غير ١٠ بالمائة هذه الصفة الاخيرة بانها مقبولة للآباء ايضا — وكانوا كلهم من المسيحيين ، وكان هذا هو الدليل الوحيد على امكان وجود فرق اساسي بين المسلمين والمسيحيين . ومن الاهمية بمكان ان عددا من الصفات التي يتوقعها البالغون في الشبان لا يتوقعها فيهم اقرانهم ابدا : كاحترام المسنين ، واطاعة الوالدين ، والجد والرصانة ، والتدين . وقد بيّن الطلبة الذين استجوبوا في هذا الاستفتاء انهم يتفقون على السلوك الذي يريده منهم البالغون اكثر مما يتفقون على السلوك الذي يريده اقرانهم .

يوضح هذه النقطة جواب شاب عمره خمس وعشرون سنة ، خريج الجامعة ، كان

يشترك في دورة صيفية : « ولدت ونشأت في قرية . يطلب كبار القرية من شاب بعمري ان يكون متدينا ، يصوم ويصلي الصلوات الخمس ويذهب الى الجامع ايام الجمعة . وان يصمت في حضرة من هم اكبر منه سنا. وان لا يعبر عن آرائه ولا ان يقدم آراء جديدة . وعليه عندما يسير في الشارع ان يسير ببطء وبوقار . وان يتجنب النظر الى الفتيات والنساء اللواتي يمر بهن ، وان يشيح بوجهه عنهن . وان يبقى رصينا ومقطبا في كل وقت ، وان يختصر من التنكيت قدر الامكان. له ان يلبس ثيابا افرنجية، ولكن يجب ان تكون الثياب رسمية وقميصه باكمام طويلة . وعليه ان يتعلم تعليما عاليا . وان يكون له دخل جيد اما من راتبه او من ممتلكاته . وعليه ان يتزوج، انما يجب الا تسيطر عليه زوجته او نساء اخريات في الاسرة » .

مع ان الصورة المذكورة اعلاه صورة متطرفة، فهي لا تختلف عن الاوصاف التي ذكرها ابناء المدن ، المسلمون منهم والمسيحيون ، الا من حيث التشديد . وحتى ان لم يكن هؤلاء يتقيدون بتطلبات الكبار في مجتمعاتهم فهم ، على الاقل ، يدركون ما هو مطلوب منهم .

ونأخذ المصدر الاخير لمعلوماتنا عن استمرار بعض ظلال الصورة الذهنية التقليدية لسلوك الشبان ، من الشبان انفسهم . ان جميع الاقتباسات التي سنوردها الآن اخذت من سير ذاتية قدمها طلاب في صف عن سيكولوجية التكيّف ، باستثناء القطعة الاخيرة التي اخذت من ملفّ احد الطلبة الذي جاء ينشد ارشاد استاذه .

١ . « عائلتنا ليست متأوربة . ابي جادّ دائما : لا لعب في البيت ، ولا يسمح برقص ولا بترفيه ، ولا يسمح لامي بان تخرج من البيت . ولم يكن يسمح بسماع الموسيقى الا مؤخرا بعد ان اشترينا جهاز راديو » (اردني مسلم ، ١٩ سنة) .

٢ . « فلسفة والدي الا يبتسم امام ابنائه. انه يعتقد ان العبوس يجعل من اولاده رجالا ونساء بحق وحقيق... يعتقد ان على المرء ان يكون قاسيا كيما يحصل على ما يريد ... اني موقن انه لطيف بشكل ما لكنه لا يستطيع ان يعرب عن لطفه ... ولو انه اعرب عن لطفه لزادت ثقتنا به ... ولكننا استمتعنا بصحبته اكثر وقلّ توترنا في حضرته » (لبناني درزي من الجبل ، ٢٠ سنة) .

٣ . « لاني من الريف نشأت في جو مليء بالخرافات . نشأت بين اناس يؤمنون بالقوة والشرف وبحاجة الانسان لحماية شرفه وصيانة اسم عائلته وزيادة ثروته وحمايتها » (سوري مسيحي من الريف ، ٢٢ سنة) .

٤ . « اني الاكبر بين اخوين. اني اشعر بامتيازاتي، ولكن عليّ ايضا ان اكون انموذجا مثاليا. عليّ ان اسدي النصح والمعونة ، لكني اشعر بالجرم حينما اتقاعس عن ذلك. ولاني

الابن الاكبر اعتبروني بالغـا قبل ان ابلغ بالفعل – وذلك خطأ » (لبناني مسيحي ، ٢١ سنة) .

وفيما يلي مشاعر كتبها طالب عمره ١٩ سنة وبخه والده لانه عبر عن آرائه السياسية . والاب ذو ثقافة عالية ، قاسى من التطورات السياسية في احدى الدول العربية . ورد فعل الابن الشاب تجاه القيود التي يفرضها والده عليه هو موضع الاهتمام :

« صرف والدي الصيف في لبنان ومكثنا في الغرفة نفسها في الفندق . وكان في كل ليلة يوبخني على التكلم في السياسة والجدل فيهـا مع اصحابه . امرني بالا اتدخل بالسياسة والا اهتم بها . وقد آلمني سماع ذلك من ابي ، كأنه يقول اني اقترف اثما . عليّ ان ادافع عما اؤمن به... انه لا يفهمني لسوء الحظ... عندما يتكلم هو لا استطيع ان ارد عليه ولا ان انظر اليه ... اشعر احيانا انه خائف ولا يتحلى بصفات الرجال ... ثم اشعر انه ابي وانه يريد ان يعتني بي ... ثم اظن انه على خطأ ... فاشعر باني سانفجر ، وذلك يؤلمني فأروح اوبخ نفسي » (عراقي مسلم ، ١٩ سنة).

وبعد ، فقد حاولنا في هذا المقال ان ندرس بعض ما كان يتوقع ويطلب من الشباب ، حسب المقاييس التقليدية ، ولا يزال يتوقع ويطلب منهم الى الآن في الحضارة العربية المعاصرة . وتدل هذه التوقعات على دور محصور جدا وواضح جدا لا يسمح الا بالقليل من الابداع الشخصي والمبادرة الفردية . اما الشاب المعاصر فانه يجد هذه القيود التي تكبل سلوكه الاجتماعي مزعجة، سواء كانت تتناول حريته في اختيار الاصدقاء او خروجه مع الجنس الآخر او مجرد تمتعه بوقته . وهو ينقم على ما يفرضه المجتمع عليه من احترام المتقدمين عليه في السن وقبول آرائهم مهما كانت صحتها . ويبلغ هذا الرفض اقصاه بوجه خاص عندما تتسع الشقة في المستوى الثقـافي بين الشبان والمتقدمين في السن . ومع انه يبدو ان بـين الشباب انفسهم اتفاقا ضمنيا على السكوت عن امر الدين، فان كون التوقعات التقليدية من الشباب عميقة الجذور في الدين، تجعله دافعا قويا قابلا للقمع والكبت . كذلك ينقم الشباب المعاصر على القيود التي تكبل رغبته في الاسهام في الحياة الاجتماعية الواسعة للتعبير عن آرائه السياسية وغير السياسية ، ولتقديم النصح لمن هم اكبر منه سنا ، وهو امر يبرره الشبان لانفسهم على ضوء ثقافتهم . نرى بوضوح ، اذاً ، ان في الصورة الذهنية التقليدية قابلية لتنفير الشباب المعاصر : قابلية لاثارة الشباب على التقاليد وحماتها، في ثورة قد تحطم العلاقـات الشخصية بين الشباب المتعلم المحتك بالحضارات الاخرى ، وبالتالي قد تؤثر في سلامته وطمأنينته . اما المظاهر النفسانية لهذا النفور فانها تحتاج الى دراسة اخرى لتقرير مجالات الاحتكاك مع الصورة الذهنية التقليدية .

يسرني ان اعلن ان اللجنة التي عهد اليها باختيار الفائز « بجائزة حوار » للعام ١٩٦٥ ، قد وقع اختيارها على الدكتور يوسف ادريس ، صاحب « الحرام » و « العيب » و « حادثة شرف » و « العسكري الاسود » و « لغة الآي آي » و « الفرافير » وسواها ، ليكون اول فائز بهذه الجائزة ، التي كانت مخصصة هذا العام لحقل الرواية والقصة القصيرة .

وقد نوه اعضاء اللجنة بالقيمة الفنية لقصص يوسف ادريس ورواياته ، وباهميتها الاجتماعية ، وشددوا على «ما يستشف منها من براعة وعمق ، مع غزارة في قوة الابتكار وقوة الرؤية . في قصصه وعي نبيه تام بنفسية الشعب العربي وبظروفه الاجتماعية . اسلوبه بسيط مباشر معبر ، ولغته جديدة مطواعة ، تناسب متطلبات الحياة المعاصرة . مسرحه ، ومقالاته الفكرية والسياسية والاجتماعية ، تضيف الى قامته القصصية . عني بالحريات وبالانسان في كتاباته . عالج القصة خاصة والكتابة عامة علاج الرجل الجاد منذ بدأ يكتب : ما جاء الكتابة لانه لم يجد ما يفعله ، وما جاءها ليزجي بها فراغه ؛ نودي للكتابة فاستجاب . كثيرون سعوا للتوفيق بين الفن والالتزام — لا يرتبطون بالحياة ارتباطا يخل ، ولا يجنحون للفردية جنوحا لا يخاطب غير قلة: ولكن يوسف ادريس واحد من الذين سعوا ونجحوا الحد بعيد، فهو مزيج صالح بين الابداع والالتصاق بالحياة».

وكانت اللجنة التي منحت يوسف ادريس الجائزة تتألف من الاساتذة: جمال م. احمد (رئيس وفد السودان للامم المتحدة وسفيرها في لندن) و سيمون جارجي (استاذ تاريخ الحضارة والآداب العربية في جامعة جنيف) وجبرا ابراهيم جبرا (الروائي والشاعر والناقد) وقسطنطين زريق (نائب رئيس جامعة بيروت الامريكية سابقا والاستاذ الممتاز فيها) و جميل صليبا (عميد كلية التربية بجامعة دمشق) وبطرس بطرس غالي (رئيس تحرير « السياسة الدولية » و « الاهرام الاقتصادي») و محمد الفاسي (رئيس جامعة محمد الخامس بالرباط) و ابراهيم مدكور (امين عام مجمع اللغة العربية بالقاهرة) — وكان من اعضائها فقيد الادب والنقد الدكتور محمد مندور ، وكان قد ادلى بصوته قبيل وفاته .

وكانت « حوار » قد اعلنت في اعداد سابقة عن هذه الجائزة ، وقالت في تقديمها لها : « مقدار هذه الجائزة عشرة آلاف ليرة لبنانية ، تمنح لكاتب خلاق ، من اي بلد عربي كان ، يكتب بالعربية الفصحى في اي حقل من حقول الرواية او القصة او المسرحية او الشعر او الفكر المبدع ، بناء على كتاباته المنشورة ... و « جائزة حوار » هذه فريدة في الجوائز القائمة الآن في الوطن العربي . فهي ليست مقصورة على لون من الادب دون لون ، ولا على مواطني بلد عربي دون آخر ؛ وهي ليست تتويجا لنتاج حياة من جهة ، ولا هي من جهة اخرى جائزة لاديب ناشىء يعد بعطاء في المستقبل ... وبانشاء « جائزة حوار » هذه ، تمضي «حوار» قدما في سعيها نحو تحقيق هدفها ، من خدمة الثقافة العربية الحية المنفتحة واقامة الحوار بينها وبين الثقافات الاخرى » .

ت. ص.